تمظهرات الخطاب السياحي في رواية قدس الله سري لمحمد الأمين بن ربيع

The manifestations of the touristic discourse in the novel "Kaddassa Allahu Sirri" of Mohamed al Amine Ben Rabii

ط.د.ليلى طبيب

مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة،

جامعة جيجل، 18000، الجزائر leila.tebib@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 2024/07/19 تاريخ القبول: 2025/11/25 تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص: تروم هذه الورقة العلمية إلى دراسة قضية تجليات الخطاب السياحي في الرواية الجزائرية، باعتبار الأخيرة جنسا من أجناس الأدب، هذا الأدب الذي تربطه علاقة بالأنظمة الثقافية والاجتماعية، وخاصة حين يتعلق الأمر بالثقافة والسياحة لذا سنحاول من خلال دراستنا هذه الوقوف عند كيفية استيعاب الأدب للخطاب السياحي متخذين من رواية قدس الله سري نموذجا للاشتغال عليها، مع تبيان فاعلية السرد الجزائري في الترويج للسياحة الجزائرية بمختلف أنواعها، خاصة وأننا لاحظنا ملامحا للسرد السياحي داخل المنجز الروائي والتي تروج للسياحة في منطقة بوسعادة ويقف عند كل التفاصيل الدقيقة التي من شأنها أن تعرفنا بالفضاء الجغرافي والثقافي لبوسعادة.

كلمات مفتاحية: الخطاب السياحي، الرواية الجزائرية، السرد السياحي، قدس الله سري، محمد الأمين بن ربيع.

Abstract: This paper aims at studying the issue of the manifestations of the touristic discourse in the Algerian novel, which is one the literature genres. This literature is related to the sociocultural systems, mainly regarding the culture and tourism. Therefore, this paper focuses on how the literature embraced the touristic discourse. In so doing, we take the novel "Kaddassa Allahu Sirri" of Mohamed al Amine Ben Rabii as a model. We show the efficiency of the Algerian narration in promoting for the Algerian tourism with its various types, mainly that we noticed some features of the touristic narration in the novel, which promotes for the city of Boussaada and shows all the details that shall introduce us to the geographical and cultural spaces of the city.

Keywords: touristic discourse; Algerian novel; touristic narration; Kaddassa AllahuSirri; Mohamed al Amine Ben Rabii

ط.د. ليلى طبيب، الإيميل: leila.tebib@univ-jijel.dz

1.مقدمة:

عُرف الأدب منذ القديم على أنه مرآة عاكسة لكل ما يعيشه الإنسان؛ وأن الأديب ابن بيئته لسان حالها ينقل كل ما يشاهده في عمل فني وأدبي والرواية أحد أشكال هذا التعبير؛ فالرواية أصبحت أكثر التصاقا بالواقع الإنساني وأكثر استيعابا واحتواء لمختلف الخطابات ومن بينها الخطاب السياحي، هذا الموضوع المستجد على الساحة الأدبية والذي وضعنا في خانة علاقة الأدب بالسياحة، فانبثق عن هذه العلاقة مفهوما جديدا أطلق عليه الأدب السياحي، هذا المصطلح المستحدث ما هو إلا تأكيد على فاعلية الأدب في تذويب كل الخطابات داخله، وتنفي عنه النظرة التقليدية الجائرة التي حبسته في الوظيفة الأدبية الامتاعية، بل أصبح بالإمكان استثماره كآلية للجذب السياحي مما يخلق فرصا للتطوير الثقافي والاقتصادي والسياسي؛ ومن بين استراتجيات الجذب السياحي من منطلق الأدب السياحي استلهام أو استحضار مقومات ومظاهر السياحة المحلية داخل الرواية الجزائرية لذا سنحاول من خلال دراستنا هذه الوقوف عند كيفية استيعاب الرواية للخطاب السياحي وتبيان فاعلية السرد الجزائري في الترويج للسياحة الجزائرية بمختلف أنواعها، متخذين من رواية قدس الله سري للروائي محمد الأمين بن ربيع نموذجا للاشتغال عليها، خاصة وأننا لاحظنا ملامحا للسرد السياحي داخل المدونة السردية، والتي تروج للسياحة في منطقة بوسعادة وتقف عند كل التفاصيل الدقيقة التي من شأنها أن تعرفنا بالفضاء الجغرافي والثقافي للمنطقة.

من هنا جاز لنا طرح التساؤل الآتي:

- كيف تجلّى الأدب السّياحي في رواية قدّس الله سري؟ وكيف أبرز الرّوائيّ جماليات فضاء الصّحراء؟

في إطار ما تقدم تهدف دراستنا الراهنة إلى:

– تعريف مفهوم الأدب السياحي وتطبيقه على الأدب الجزائري، مع التركيز على العلاقة بين الأدب والسياحة في الجزائر

– دراسة رواية قدس الله سري كنموذج للأدب السياحي، وتقييم مدى نجاحها في الترويج لمنطقة بوسعادة كوجهة سياحية من خلال السرد الأدبي.

ولكي يحقق البحث أهدافه المرجوة اقتضت الدراسة أن تستند على إستراتيجية الوصف والتحليل لمقاربة الرواية، حيث تمّ الاعتماد على القراءة الفاحصة لمدونة الدراسة وتحليلها ومناقشة طريقة تجلي الخطاب السياحي داخل متنها.

2.الخطاب السياحي/ الأدب السياحي: إضاءة في المفاهيم

1.2.مفهوم الخطاب السياحي:

يتخذ الخطاب عدة صور مفاهيمية بحسب الحقل الاستعمالي له، كالخطاب السياحي المرتبط بحقل السياحة، أي من خلال المؤسسات التي لها صلة به ومن خلال المواقف التي ينبع منها هذا الخطاب، إذ الخطاب السياحي خطاب يندرج ضمن الممارسة السياحية، وهو الذي يكتسب طابعا ثقافيا يتمثل في مكوناته الترويجية للسياحة، أو ذلك الخطاب الذي ينتمي إلى مجال الاقتصاد السياحي، شأنه في ذلك شأن أي خطاب أدبي، ويقوم الخطاب السياحي بدور الوسيط بين المنتج والمرسل والمستفيد المرسل إليه، أي بين المروج للسياحة وبين الفرد بحيث تكون مهمة الخطاب الإقناع والتشويق والتحفيز للمادة السياحية، وعبر الخطاب المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية تبرز هذه المادة معانقة ذات المتلقين مستفزة لمشاعرهم ومستميلة لعقولهم، فتبعث فيهم روح الاكتشاف والتطلع للمزيد من هذه المواد السياحية المختلفة عن طريق اللغة هذه البوابة التي نلج من خلالها عالم السياحة[1].

2.2 مفهوم الأدب السياحي:

الأدب السياحي لون أدبي جديد غير مسبوق فنيا في أدبنا العربي الحديث والمعاصر، لكن من ناحية المصطلح فهو موجود منذ القدم وقد تشابك مع مجموعة من المصطلحات التي ذكرها الدكتور يوسف وغليسي في مقاله" **الأدب السياحي ونصوص الهجرة عبد الله ركيبي في مدينة**

الضباب أنموذجا" ضمن كتاب " **في ظلال النصوص"** وهي " أدب المهجر/ أدب المهاجر، أدب المنفى، أدب الرحلة، الأدب الجغرافي.

وعليه يعرف يوسف وغليسي الأدب السياحي بأنه:« **ثمرة السياحة في شكل جمالي يطبعه الإمتاع الوصفي والتنميق الكلامي والتبليغ الانطباعي الذي يمتاز ببساطة الوظيفة الإخبارية؛ حيث يربأ السائح الأدبي بنصه الجميل أن يثقل بالمعلومات التاريخية والجغرافية الكثيرة والجافة...**»[2] يظهر الأدب السياحي من خلال هذا التعريف تركيزًا على الجانب الجمالي والانطباعي للنصوص المرتبطة بالسياحة، حيث وغليسي أن الهدف ليس تقديم معلومات تاريخية أو جغرافية ثقيلة، بل خلق تجربة ممتعة ومشوقة للقارئ من خلال وصف مشاهد الرحلة بأسلوب جذاب ومؤثر. هذا النوع من الأدب يبتعد عن التوثيق الجاف ليبرز الجانب الإبداعي عبر الصور الحسية والانطباعات الشخصية التي تعكس تجربة السائح. بالتالي، هو أدب يجمع بين الترفيه والنقل الإبداعي للواقع، بعيدًا عن الحياد العلمي.

فالأدب السياحي يتناول مسارات حيوات المبدعين في شتّى الفنون والآداب، وظروف نشأتهم، والمؤثرات الجغرافية، والبيئية، والاجتماعية، والتاريخية، والثقافية التي تأثّروا بها، وأثّرت فيهم، ممّا ولّد فيهم دافعية الكتابة، والإبداع، ومدى مساهمتهم في بثّ الوعي الفكري والمعرفي في بيئتهم المحلية والوطنية، والعالمية[3] يتضح أن الأدب السياحي لا يقتصر على كونه مجرد وصف للرحلات والمشاهد، بل يمتد ليغوص في حياة المبدعين وظروفهم المختلفة، كاشفًا عن تأثير البيئة والجغرافيا والمجتمع والثقافة في تشكيل رؤاهم الإبداعية. يُظهر هذا الأدب كيف تتفاعل هذه المؤثرات لتحفيز دافعية الإبداع لدى المبدعين، مما يجعل النصوص ليست فقط مرآة لانطباعاتهم، بل أيضًا وسيلة لنشر الوعي الفكري والمعرفي محليًا وعالميًا. بهذا، يتحول الأدب السياحي إلى مساحة للتفاعل بين الذات والمحيط، منتجًا رؤية أعمق للثقافات والإنسانية.

كما يعرفه جمال بدران في قوله: « **هو التجوال والتحليق في عوالم وآفاق بعيدة عن العين والأذن، إلى الحد الذي تقربه من أدب الرحلات المعروف، بما فيه من تقريب البعيد وتقديم مشاهد لاماكن نائية وشعوب متأخرة أو راقية، ونماذج من الحياة غريبة عنا أو شبيهة لنا، وأنواع من الكائنات عاشت أو لا زالت تعيش في جنبات الأرض أو محميات بأعماق البحار**»[4] يتجلى جوهر الأدب السياحي في سعيه لتوسيع آفاق القارئ، متيحًا له التجوال في عوالم بعيدة ومناطق قد تكون مجهولة أو غريبة؛ الأدب السياحي هنا لا يقتصر على وصف الأماكن، بل يتعمق في تقديم مشاهد شاملة تدمج بين تفاصيل البيئات النائية وأنماط الحياة المختلفة، سواء كانت بدائية أم متقدمة؛ إنه وسيلة لتقريب البعيد وإبراز التنوع الإنساني والطبيعي، موفرًا للقارئ تجربة تحاكي السفر الفعلي عبر الخيال والوصف هكذا، يربط الأدب السياحي الإنسان بمحيطه محولًا النصوص إلى وسيلة لتوسيع الوعي الثقافي والجغرافي.

نلمس حضورا مكثفا للأدب السياحي في النصوص السردية، التي تقوم على ركيزة الوصف كالنصوص الرحلية والقصص والروايات، أين نجد السارد داخلها: « **صاحب خبرة كبيرة، في المعرفة السياحية، يقوم بوظيفة المرشد السياحي العليم بالمواقع السياحية، والمدرك لمهمته التي تتطلب منه الاعتناء بالسواح، وترغيبهم في السياحة. فهو كالفنان الذي يقوم بعرض مشاهده، أمام الآخرين بطريقة جذابة، تشد انتباههم وتوقظ لديهم الرغبة، في الاكتشاف والمعرفة.**»[5] يعكس النص دور السارد كجسر بين المكان والقارئ، حيث يجسد خبرته السياحية عبر لغة جمالية تحفز الفضول والاكتشاف، ويرمز السارد هنا إلى وسيط ثقافي يمزج بين التوجيه والإبداع، مما يجعل المواقع السياحية نصًا مفتوحًا للتأويل والانبهار، لا مجرد أماكن جامدة.

3.انفتاح رواية قدس الله سري على الخطاب السياحي:

تصنف رواية قدس الله سري ضمن مراحل متقدمة من تعامل الرواية الجزائرية مع الخطاب السياحي، وتنسب للروايات الحداثية التي تمكنت من استثمار العديد من الخطابات ومن بينها الخطاب السياحي داخل المتن الروائي بأساليب مبتكرة وبتقنيات معاصرة، والروائي الشاب محمد الأمين بن ربيع من الروائيين الشباب الذي برهن على قدرته في مزج عناصر ومظاهر السياحة

داخل عمله الروائي، رغم قصر تجربته الروائية، ومن بين أنواع السياحة الأكثر حضورا في الرواية نجد في مقدمتها السياحة الثقافية الحضارية؛ والتي يندرج تحتها فنون التراث الشعبي بجميع أنواعه وأشكاله وتسمى أيضا بالسياحة التراثية، ثم السياحة الجغرافية؛ والتي تشمل المكان السياحي والذي وقف الروائي على جمالياته وأبعاده الحضارية والثقافية والسياسية والدينية؛ والمكان السياحي في الرواية هو الجزائر عامة ومدينة بوسعادة خاصة، وأخيرا السياحة الدينية التي تعتبر أهم ما يميز الرواية وترتبط ارتباطا وثيقا بمنطقة بوسعادة وهي الثقافة الصوفية وزيارة الأضرحة والزوايا. وبالتالي وأنت تطالع منجزه تجذبك عوالمه السحرية وتدفعك إلى قراءة المزيد دون ملل وتحيطك أجواء من الروحانيات، وذلك بفضل موهبته في سبك الأحداث واختيار الشخصيات وتطعيمها بعناصر من السياحة.

إضافة إلى أن الروائي يعرفنا بمنطقة بوسعادة من خلال الوقوف على أهم ما يميزها من فنون شعبية بداية من فن الرقص والموسيقى، والحرف الشعبية والألبسة التقليدية وفن العمارة وهنا تكمن فرادة العمل.

إن رواية قدس الله سري باستحضارها للخطابات السياحية المتعددة، تكون قد اشتغلت على العديد من القضايا التي وسبق طرقها في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة خاصة في أعمال واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي، ربيعة جلطي وعز الدين جلاوجي... ولكن مع الروائي الشاب محمد الأمين بن ربيع قد اتخذت منحا مغايرا، خاصة حين جعل من السياحة الداخلية/ المحلية نقطة اهتمام وجذب من لدن امرأة أجنبية، فقد لاحظنا أن البطلة أدريان موريالك الفرنسية قد ولعت بمنطقة بوسعادة وعلى وجه الخصوص بسحر مناظرها الطبيعية من جبال وواحات وبالرقص الشعبي.

استلهام الخطاب السياحي في الرواية الجزائرية عامة ورواية قدس الله سري خاصة بمثابة تعريف وترويج للسياحة الجزائرية، والسياحة الصحراوية على وجه الخصوص، فقد لمحنا تمثلات عديدة للخطاب السياحي داخل المنجز السردي من سياحة ثقافية، دينية، جغرافية... مشكلة لنا سرد سياحي قوامه التراث الشعبي والثقافة المحلية.

4.تمظهرات الخطاب السياحي في رواية قدس الله سري:

2.4.السياحة الثقافية:

أ.الفنون الشعبية والثقافة المادية:

الفنون الشعبية: في أشمل تعريفاتها هي:"**مجموع ما أبدعه الشعب من أول تاريخه في ميادين العقائد و التقاليد والعلوم والفن والآداب والصناعة والمعمار**"[6]. وتعتبر ترجمان صادق الأداء، تعبر به الشعوب عن أحلامها وآمالها وآلامها، فهي سجل تاريخي حضاري ،وتراث يجب الاعتزاز به.ومن الفنون الشعبية المستحضرة في الرواية نجد في مقدمتها:

➢ **الرقص الشعبي**: ظهر في صورتين:

❖ **الرقص الاستعراضي** الذي كانت تمتهنه السيدة يمينة في مجالس ومقاهي مدينة بوسعادة بعد أن طلقها زوجها ورمتها عائلتها، وقد شغفت به أدريان موريالك الفرنسية أثناء جولتها السياحية بالمدينة، مما جعلها تزورها في كل مرة لتعلمها الرقص البوسعادي، بعد أن علمت بأنه مقدس عند الشرق وأن أي حركة صادرة عن الجسد أثناء الرقص تحمل معنى، تقول أدريان واصفة الرقص الشعبي البوسعادي:" **فهمت معنى القداسة حين أنهيت رقصتي على إيقاع البطايحي كما علمتني يمينة؛ ارفعي ذراعيك إلى مستوى رأسك، باعدي بينهما قدر ذراع، ضمي أصابع يديك إلى بعضها، قدمي رجلك اليمنى على اليسرى ثم ارفعيها على أصابعك على هيئتهما الأولى، حين ينقر على البندير ثلاث نقرات متتاليات استديري بجسدك، الجذع أولا ثم أسفلك...**"[7] وأحد أشكال الرقص الاستعراضي الذي تحدث عنه بن ربيع في روايته رقص ستيفاني على سطح السفينة المتجهة إلى الجزائر التي تعرفت على حبيبها الجزائري في فرنسا وقررت الرجوع معه إلى موطنه، وقد كانت قبل ذلك مهتمة بعالم الشرق وبثقافاته وفنونه وأهم ما جذبها من فنونه الرقص الشرقي الاستعراضي وقد خصص له الروائي مقطعا لا يليق إلا باستيفاني كما تخيلها هو وكما جعلنا نحن نتخيلها ونولع برقصها في مشهد حولها إلى كتلة من

الأنوثة والفتنة توقع بقديس زاهد:« **لقد كانت تلك الليلة سيدة الهوى، كلما تصاعدت حدة موسيقى الكمان كلما زادت حركات ستيفاني نشاطا وسرعة، وكلما زاد ضارب الطبل من عدد نقراته على جلد آلته المسود، كان يسيج ستيفاني بإيقاع طبله حتى لا تفقد معنى رقصتها، تتمايل يمينا ثم شمالا، ثم تدور دورة كاملة بجسدها، يدور خصرها ثم جزؤها العلوي، تتلوى كحية جنة عدن، أفقدت الجميع صوابهم.**»[8] كما كان للفتاة ستيفاني دور في تعرف أدريان على الشرق فقد نصحتها بالهجرة نحوهم والنهم من ثقافاتهم وحثتها على قراءة كتبهم خاصة الروحانية منها وهي كتب وفلسفة وأشعار المتصوفة لما لها من أثر على العقل والروح.

➢ **الآلات الموسيقية والغناء الشعبي:** كانت حاضرة هي الأخرى في رحلة تعرف أدريان على ثقافة وموروث مدينة بوسعادة الذي جذبها ووجدت فيه ذاتها رغم اختلاف اللغة و العادات والتقاليد، إلا أنها تمكنت من فهم موسيقى وغناء المدينة، خاصة تلك الموسيقى الحزينة القريبة إلى الروح ولامست شغاف قلبها، إلى جانب الغناء الشعبي، استحضر الكاتب آلات موسيقية وهي: **الغايطة، البندير، الناي والدف،** وهي آلات شعبية توحي بالطابع الشعبي التقليدي، ويشترك **الدف** مع **الكمنجة والطبلة في** إبراز الطابع العربي المشرقي.

ولقد كان هذا الفن وسيلة وصل بين الغرب والشرق، بين أدريان ونائل، جمعت بين ثقافتين متمايزتين ضمن نطاق إنساني، فالموسيقى والغناء لا تعترف بالفوارق والاختلافات ولا تملك وتعرف أي لغة أو لهجة؛ سوى لغة الإنسانية والمحبة والسلام.

➢ **الأدوات والتجهيزات المترلة:** وهي أدوات مادية تقليدية يحتاجها الإنسان ويتوسل بها في قضاء حاجاته من الأكل والنوم والعمل والسوق... والرواية زاخرة بالأدوات التقليدية ضمن التراث المادي لمدينة بوسعادة، استخدمتها شخصيات الرواية لتسهيل مهامها، سواء البطل نائل وهو يعمل في المحل، أو والدته التي تقوم بالمهام المترلية اليومية، أو والده الذي يخدم أرضه، أو نانا الضاوية التي تستخدمها في ممارساتها وطقوسها. ومن بين هذه الأدوات:

❖ **الكانكي:** وهو نوع من المصابيح القديمة التي كانت تنير عتمات الليالي في البيوت الجزائرية قديما « **التفت إلى أفراد أسرتي، كانوا يبدون ككومة قماش مرمية في الزاوية المظلمة، لا يأتون بحركة...كم بدوا لي منبهرين وهم يتطلعون إلينا بعيونهم التي تبدوا غائرة بفعل الضوء الخافت الذي يرسله الكانكي.**»[9]

❖ **المبخرة، المجمر:** وهي أداة من التراث العربي أوردها الكاتب باللفظين في نصه الروائي على لسان نائل في أكثر من موضع:« **وتناولت البخور بيدها وألقته على مبخرة لم أنتبه اليها الا في تلك اللحظة، فتصاعد العبق وغطى برائحته على كل الحواس**»[10] وأيضا في:« **وضعت في المجمر جمرا ملتهبا كانت أمي قد أوقدته قبل قليل**»[11] ثم في:« **وانبعثت في أرجاء الكوخ رائحة نتنة تزاحم عبق البخور الذي تضعه أمي كل صباح في المجمر**»[12] فالمبخرة في الأولى استخدمت في ضريح سيدي إبراهيم كطقس من طقوس الحضرة التي يستحضر فيها الجن، والمجمر في الثانية استعمل في طقس فك سحره وإعادته للحياة، والمبخرة في الثالثة استعملت لتقضي على ذكرى أدريان.

❖ **السعفة:** اسمها مشتق من سعف النخيل الذي تصنع منه وتستعمل في التسوق :« **كنت أنا من يحمل الطعام، كسرة الخبز، أو الشخشوخة أو أي شيء آخر، تضعه لي العارم زوجته في السعفة وآخذه إليهم**»[13] وقد كانت السعفة هنا رمزا شاهدا على علاقة نائل بزليخة تلك العلاقة الخطيئة التي كادت تنهي حياته.

وبالإضافة إلى هذه الأدوات وأدوات أخرى تقليدية: **كالكانون، الغربال، حنبل الصوف، الدواة والقلم والصناديق التركية التي توضب فيها الأغراض، وأحواض الصباغة وخيوط الطعمة.**

➢ **اللباس التقليدي:** المتمثلة في الأزياء الشعبية التي كان يلبسها أهل بوسعادة في تلك الفترة التاريخية وتمثل لهم هويتهم وأصالتهم، وتعكس الأوضاع الاجتماعية والمستويات الطبقية في تلك الفترة، وكانت تشمل نوعين: لباس نسائي، ولباس رجالي، وقد عرج عليهم بن ربيع في روايته، لحظة انبهار أدريان الفرنسية باللباس الرجالي البوسعادي المتمثل في القندورة البوسعادية: «**جلسنا**

متقابلين، القندورة البوسعادية الفضفاضة كانت تبدو ناصعة تحت ضوء القمر الـــذي بـــدأ ينجلي»[14] والبرنوس والعباءة ولفة الشاش على الرأس واصفة إياه بالزي العربي.

أما اللباس التقليدي للمرأة البوسعادية استلهمه الكاتب على لسان البطل نائل في حضور العنصر النسوي في حياته المتمثل في والدته وحبيبته الفرنسية أدريان؛ أما والدته فوصف لباسها التقليدي وصفا مؤثرا يعبر به عن اعتزازه وفخره بأمه، إضافة إلى أن أجمل صورة طبعت في ذهنه وذاكرته هي صورة أمه تتوشح بالزي التقليدي، يقول: "**سوت محرمتها على رأسها، كانت ضـــفائرها ملفوفة بشكل دائري على جانبي رأسها، فتبدوان كحلقتين تختزلا حكايات عمرها البـــائس، وفوق تلك المحرمة تضع قطعة قماش أخرى تشدها على صدرها بمدور فضة ثوبها لم يكن شيئا فقد كان مفتوح الصدر، وينتهي طرفه عند منتصف ساقها**"[15] ينتقل نائل إلى وصف الملحفـــة البوسعادية التي ألبسها لأدريان لكي تتخفى عن أعين أهل القرية الفضوليين، ولكي لا يكشـــفها ويتعرف عليها زوجها فيليب الذي هربت منه، فسرد لنا الروائي مساعدة نائل لأدريان في طريقة لبس الملحفة.

➢ **الأطباق الشعبية:** وهي الأطعمة التقليدية التي يتناولها أهل بوسعادة عامة وأبطـــال الروايـــة خاصة، من فطور وغداء وعشاء، وفي المناسبات الدينية والأفراح والجنائز والأعياد، وقد ذكـــر منها الروائي: **كسرة الفطير، الكسكسي، اللبن.**

3.4.السياحة الجغرافية:

لقد كانت مدينة **بوسعادة** ملهمة لكثير من المستشرقين والمغنين والفنانين التشكليين، فلن تكون عكس ذلك في الأدب عامة وفي رواية قدس الله سري خاصة، وليس غريبا عن الروائي أن تكون مصدر إلهامه بحكم أنه ابن بوسعادة نشأ وترعرع بين حواريها وتحت شمسها وبين وديانها وشعابها، لذا فقد قدم وصفا دقيقا للمكان بكل تفاصيله، في محاولة منه لاستنطاقه ليكشف عن المزيد من الأخبار والأسرار حول المدينة.

قدس الله سري هي رواية المكان الذي يحكي دون توقف، محاولا منح لسانه لشخص يعرف كيف يستنطق تلك التفاصيل الكثيرة المخبوءة في الحواري الضيقة وفي امتداد الوادي واخضرار البساتين، وفي ألوان الجبال التي لا تثبت على لون واحد، فتظل تغير ألوانها ما تحركت الشمس فوقها، وفي رائحة البخور والعنبر وأصوات الشيوخ وهم يلهون بأوراد الصباح والمساء، وأصوات الباعة المتجولين وهم يعرضون سلعهم المستقدمة من أقاصي البلاد.

والفكرة الأولى لقدس الله سري انطلقت من جمال مدينة بوسعادة وتحديدا جبالها وهو ما صرح به الروائي محمد الأمين بن ربيع في مكالمة هاتفية له عبر أثير الإذاعة الدولية مونت كارلو:"**فكرة الرواية تكونت في ذهني وقررت الكتابة عنها يوم أسرتني جبال بوسعادة الجميلة المحيطة بنور الشمس الدافئة، والتي كانت تتخذ العديد من الألوان بين بني وأصفر، وأخضر، وأحمر، وألوان أخرى يعجز العقل عن استيعابها، فألهمتني هذه الظاهرة كي أن انقل هذا الجمال وأعيد تصويره كتابة**"[16] وقد اختار الروائي أدريان كي تصف جمال بوسعادة وتحديدا جبالها بعد انبهارها وافتتانها بها، ولعل أجمل وصف قدمته الفرنسية أدريان لجبال بوسعادة حين قالت:"**المدينة التي تحتضنها الجبال مدينة متدللة، تشبه عذراء تحاول أن تبقى كذلك ليبقى سحرها، وتدوم فتنتها... المدينة التي تحتضنها الجبال مدينة تحمل من الأسرار ما قد يهد الجبال، لأن المحاطين بالجبال يفعلون ما يشاءون... المحاطون بالجبال يقتلون الرقيب ذا النفس، وحدها الجبال ترقبهم... المدينة التي تنام في حضن الجبال مدينة مملوءة بالشبق، فذلك الحضن يبعث في النفس ارتياحا غريبا، يحي في النفس حر النفس... هذه المدينة مرتع للعشاق**"[17] لذا فلم تتوانى أدريان في أية لحظة عن إبراز إعجابها بمدينة بوسعادة بكل شوارعها وأزقتها وجبالها ومزارعها... المكان الذي شعرت فيه بالدفء الذي لم تجده في فرنسا الباردة الغارقة في الماديات، وامتنانا لهذا الدفء وعشقا لشمس بوسعادة الدافئة أسمت نفسها بعد إسلامها وولادتها الجديدة بشمس النهار.

و لم يقتصر المكان في الرواية على جبال بوسعادة فحسب، بل على الأراضي الزراعية أيضا، التي تعكس الطابع المحلي للمنطقة القائمة على الفلاحة والرعي، وهي الحرفة التي امتهنها

والد نائل، فقد أسكن الكاتب عائلة نائل في أرض زراعية بعد وادي بوسعادة وعلى حاشية المدينة، وقد ربط الكاتب نائل ووالده وأسرته بالأرض في إشارة إلى ارتباط الشعب بأصله والتشبث بمبادئه والحفاظ عليها، العلاقة بين أدريان ونائل لم تكن علاقة حب فقط كما يبدو ظاهرها، فنائل هو الأرض وأدريان الوافد إلى هذه الأرض.

ومن الأماكن الشعبية الأخرى لمدينة بوسعادة التي ذكرها الروائي في نصه هي:

✓ **المساجد:** مسجد المرابطين ومسجد أولاد أحميدة ومسجد سيدي ثامر.

✓ **الزوايا والأضرحة:** ضريح سيدي ابراهيم السلامي، ضريح سيدي عبد القادر الجيلاني.

✓ **المنازل التقليدية:** المنازل الراقية كمنزل سي سليمان احد شرفاء بوسعادة، وكوخ نائل البسيط الذي يعكس ظروف معيشته الفقيرة على حافة المدينة.

✓ **الأحياء والشوارع:** حي المخفيات، أولاد أحمدية، حارة الشرفاء، امسيرح، حي المواوين، الرملاية، زقاق النايليات، ساحة الكولونيل بان.

✓ **الجبال والوديان والأراضي الزراعية:** جبل كردادة، وجبل الزرقة، وواد بوسعادة.

يكون بهذا قد جمع الروائي بين المنشئات ذات الطابع الديني، الاجتماعي، الاقتصادي، والطبيعي.

4.4.السياحة الدينية:

إن غلبة حضور التراث الصوفي جعل الرواية تصنف ضمن الأدب الصوفي العرفاني من جهة والأدب العجائبي من جهة أخرى لوفرتها على أشكال الموروث الحكائي النابع من تفسيرات المتخيل الشعبي؛ مما أسهم في إثراء السياحة الدينية في مدينة بوسعادة والتي تمثلت في:

❖ **المساجد والزوايا والأضرحة:** إذا كانت الرواية تندرج ضمن الأدب الصوفي، فإنها سوف تتخذ من المساجد والزوايا والأضرحة مسرحا لأحداثها بالدرجة الأولى، وإذا رصدنا تمثل الرواية للخطاب السياحي الديني فإن السياحة الصوفية هي الأبرز داخل المتن الروائي، وأن المساجد والزوايا والأضرحة هي معالم سياحية دينية، وتعتبر بوسعادة فضاء الرواية من الأفضية الصحرواية التي تعرف انتشارا كبيرا للأماكن الدينية ودور العبادة، وقد أولى الروائي عناية خاصة بهذه المعالم خاصة الأضرحة التي تمثل الطمأنينة وخير وسيط للتقرب إلى الله في المخيال الجمعي

لأهل بوسعادة، ليس لهم فحسب بل لباقي المناطق أين نسمع ونلاحظ توافد كبير لأهل الجزائر من مناطق مختلفة وبعيدة لمناطق محددة بعينها مشهورة بزواياها وأضرحتها بغرض الاستشفاء والتطبب والعبادة، بل وصل الأمر بأناس أجانب يتوافدون من بلدان أجنبية إلى صحراء الجزائر وتحديدا زواياها وأضرحتها لعلاج الأمراض المستعصية التي عجز الطب والعلم على إيجاد علاج لها ولطلب الرزق والذرية وعلاج العقم وذلك بذبح القرابين والأضحيات على مقابر الأولياء الصالحين والدعاء بأسمائهم.

كما لم يفوت الروائي وصف هذه الأماكن وما يحيط بها من روحانيات وهالات نورانية، والوقوف على أدق تفاصيلها وتصويرها من زخارف ورسومات وألوان. ومن هذه الأماكن السياحية الدينية البوسعادية المذكورة في الرواية نجد:

✓ **المساجد:** مسجد المرابطين ومسجد أولاد أحميدة ومسجد سيدي ثامر.

✓ **الزوايا والأضرحة:** ضريح سيدي إبراهيم السلامي، ضريح سيدي عبد القادر الجيلاني.

❖ **الرقص الروحاني (الصوفي):** هو نوع من الرقص الشعبي، يقام في المناطق التي تعرف انتشارا كبيرا للأضرحة والزوايا، ويعتبر طقسا مقدسا عند المتصوفة، وشكل من أشكال العبادات، وهو في اعتقاد المتصوفة أنه روحاني يرتقي بأرواحهم إلى الملكوت الأعلى ويطهر أجسادهم ومهجهم من الأخطاء والذنوب، ويشفيهم من الأمراض والعلل، أو هو هروب من بشاعة العالم المادي، وقد أطلق أيضا على هذا النوع من الرقص ب" الحضرة"؛ وهو حضور الجن في طقوس الرقص الصوفي التي تقوم بها فئة من الراقصين يسمونهم المرابطين، الذين يتحلقون ويقومون بالرقص الجماعي القائم على الجسد الذي يتحرك بجميع أعضائه خاصة الرأس، مع قيامهم ببعض الحركات الغريبة مصحوبة بصرخات وهتافات، ويفسرون هذه الرقصة بأنها من عمل شيطاني يتدخل فيها الجن الذي يتلبس المرابط فيتحكم بجسده فيجعله يلف ويدور بشكل متسارع إلى أن يسقط مغشيا عليه بعد أن يخرج الجن من جسده وقد تحدث عنه الكاتب في نصه الروائي على لسان شخصية يمينة الراقصة وهي تشرح للفرنسية أدريان عن هذا النوع من الرقص بكثير من الفخر والاعتزاز عكس ماكانت تصف به الرقص الاستعراضي، تقول:" **طبعا الرقص وصل**

روحاني، فهنالك من جن برقصة لم ينهها لأن ضارب البندير أوقف ضرب بنـــديره فجـــأة، وهنالك من شفي من جنونه أو رباط إعاقته برقصة أنهاها بحضرة.

– حضرة؟

نعم حضرة، أنت أنهيت رقصتك بحضرة، إغماءتك تلك كانت بسبب حضور الجن الـــذين شدهم رقصك، فرقصوا معك"[18] واعتبر الرقص الروحاني بالنسبة لأدريان كوســـيلة تطهـــير، خاصة وهي قادمة من فرنسا مثقلة بالذنوب والخطايا، وشدها هذا الرقص قبـــل أن تهـــاجر إلى بوسعادة، وذلك من خلال قراءة كتب عن الشرق وثقافاتهم ومن بينها الرقص الشرقي، وازداد ولعها به حين حدثتها ستيفاني رفيقتها في السفر عنه.

❖ **الاعتقاد بالأولياء الصالحين:** طغى الاعتقاد بالأولياء الصالحين في فترة الحكم العثماني بالجزائر ثم واصلت البقاء بعد دخول فرنسا الجزائر، وهم أشخاص حكيمين محاطين بهالة قدسية يصنفون بعد الأنبياء والصحابة والتابعين، يتميزون بكرامات منحهم إياها الله دون غيرهـــم فأصـــبحوا أحبابه، ويعتبرون بمثابة وسيط بين العبد وربه، فحين يطلب العبد من ربه شيئا أو يدعوه لا يعبده مباشرة بل يتوسط بالولي الصالح، وقد خصصت لهم أضرحة وزوايا بأسمائهم يزورنها في فتـــرات معينة خاصة ما تعلقت بالمناسبات الدينية، ولقد أشار الكاتب إلى هذا المعتقد في نصه الروائـــي، وذلك حين توسل أهل منطقة بوسعادة بأوليائها الصالحين حين نزل بهم داء الطاعون الذي حصد العديد من أرواح السكان، يقول الروائي:**"بكوا وانتحبوا وتوسلوا إلى الله بكرامات ســـيدي إبراهيم وسيدي ثامر وسيدي سليمان وسيدي عطية وسيدي ميمون. وبكل رجـــل عرفـــه فحباه بكراماته توسلوا به وكل صالح نائم تحت قبة ضريح، أو مجذوب مر من هنا، تـــذكروا الجميع."**[19] كما استحضر الروائي أولياء آخرين، وبعضا من كراماتهم؛ كالولي عبـــد القـــادر الجيلالي الذي أعاد للالة الغزال عويشة بصرها، والشيخ الأهول، إمام مسجد النخلة الذي رقى المجنون محمد بودراعة واسترجع صوابه.

5.خاتمة:

في آخر هذا البحث يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

– الأدب السياحي هو نوع أدبي يمكن لقطاع السياحة الاستفادة منه خاصة في جذب السياح وذلك بتعريفه بالمناطق السياحية وما فيها من معالم تستحق الزيارة.

– تعد رواية قدس الله سري بمثابة لوحة تشريحية للجزائر بوجه عام ولمدينة بوسعادة بوجه خاص؛ إذ كشفت لنا بعض عادات وتقاليد المجتمع البوسعادي.

– رواية قدس الله سري رواية روجت للخطاب السياحي بامتياز وعرفت بمنطقة بوسعادة؛ أين عثرنا داخل المتن الروائي تمظهرات للخطاب السياحي أهمها السياحة الجغرافية، الثقافية، والدينية.

– أكد الكاتب في توظيفه للموروث في شقه المادي، على الطابع التقليدي والتراثي الأصيل لمنطقة بوسعادة، فهي دعوة إلى توجيه الأنظار إلى القبلة السياحية الجنوبية، والاهتمام به من قبل السلطات والاستثمار فيه لكونها مدينة سياحية بامتياز.

كما لا يفوتني أن أدون بعض التوصيات التي من شأنها أن تثري الموضوع، وتؤكد على دور الأدب السياحي في إنعاش القطاع السياحي داخل الجزائر وهي كالتالي:

– ربط الأدب بمختلف تخصصاته على باقي التخصصات الاقتصادية وخاصة التخصصات التي تعنى بالجانب السياحي.

– ضرورة انفتاح تخصص الأدب على مختلف الخطابات أهمها السياحية؛ كعقد ندوات علمية وأيام دراسية وملتقيات دولية ووطنية تعنى بدراسة علاقة الأدب بالسياحة، وتكثيف الدراسات الأكاديمية من رسائل وأطروحات ومقالات علمية تخدم الموضوع نفسه.

– إن الروايات التي صورت لنا الأماكن السياحية في الجزائر بمختلف عاداتها وتقاليدها ومعالمها السياحية يليق بها أن تحول إلى أفلام سينمائية، ومن هذا المنطلق نؤكد على ضرورة ربط القطاع السياحي بسينما الأدب؛ لأن الرؤية السينمائية أكثر انفتاحا على التجريب، وبعض الروايات التي قامت على السرد السياحي– ومدونة الدراسة أحد هذه الروايات– تتطلب رؤية إخراجية تكثف المشهد وهذا من اختصاص السينما، كما أن السينما تضخ الدماء للسرد السياحي ولا تجعله حبيس الكتب بل تحوله إلى صورة، والصورة أبلغ وأقرب لذهن المتلقي.

6.قائمة المصادر والمراجع:

*المصادر:

-محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، دت، 2016.

*المراجع:

1 أحمد العسيري، الأدب السياحي، موقع العربية، الرابط، https://www.alarabiya.net/ ، تاريخ النشر: 2016/09/29.

2 بشير خلف، 2022/11/16، https://alantologia.com/.

3 بوداود وذناني، فضاء الصحراء والسرد السياحي في الرواية الجزائرية: رواية تيميمون لرشيد بوجدرة نموذجا، مجلة الباحث، المجلد09، العدد 18، 2017

4 خليفة مامور، جاذبية الخطاب السياحي في النص المسرحي الجزائري قراءة في بعض الرموز السياحية من مسرحية النخلة وسلطان المدينة لعز الدين جلاوجي انتخابا، كتاب أعمال الملتقى الدولي: الأدب السياحي ودوره في الاستثمار الثقافي، يومي 16/15 نوفمبر 2022، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمة لخضر، مطبعة الأمل المشرق، الجزائر، 2022 .

5 رضا جودي، 2019/10/02:« الكاتب الجزائري محمد الأمين بن ربيع مدينتي بوسعادة ألهمتني»، النشرة الثقافية عبر أثير الإذاعة الدولية، على الرابط- https://www.mc-doualiya.com/programs/.

6 نادية الدمرداش، علا توفيق، مدخل إلى علم الفلكلور، دراسة في الرقص الشعبي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

7 يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

7. قائمة الإحالات:

[1]خليفة مامور، جاذبية الخطاب السياحي في النص المسرحي الجزائري قراءة في بعض الرموز السياحية من مسرحية النخلة وسلطان المدينة لعز الدين جلاوجي انتخابا، كتاب أعمال الملتقى الدولي: الأدب السياحي ودوره في الاستثمار الثقافي، يومي

16/15 نوفمبر 2022، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمة لخضر، مطبعة الأمـــل المشـــرق، الجزائـــر، 2022، ص300،301.

[2] يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص288،287.

[3] ينظـــر: بشـــير خلـــف: 2022/11/16، الأدب الســـياحي، https://alantologia.com / تـــاريخ الزيـــارة: 2024/03/14، 00:43.

[4] أحمد العسيري، الأدب السياحي، موقع العربية، الرابط، https://www.alarabiya.net/ ، تاريخ النشر: 2016/09/29، تاريخ الزيارة: 2024/11/28، 03: 14.

[5] بوداود وذناني، فضاء الصحراء والسرد السياحي في الرواية الجزائرية: رواية تيميمون لرشيد بوجدرة نموذجا، مجلة الباحث، المجلد09، العدد 18، 2017، ص 53.

[6] نادية الدمرداش، علا توفيق، مدخل إلى علم الفلكلور، دراسة في الرقص الشـــعبي، عـــين للدراســـات والبحـــوث الإنســـانية والاجتماعية، القاهرة(مصر)، ط1، 2003، ص 68 .

[7] محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، دت، 2016، ص 130، 131.

[8] قدس الله سري: ص99.

[9] قدس الله سري، ص08.

[10] المرجع نفسه، ص28.

[11] المرجع نفسه، ص58.

[12] المرجع نفسه، ص196.

[13] المرجع نفسه، ص51.

[14] المرجع نفسه، ص36.

[15] قدس الله سري، ص 13.

[16] رضا جودي، 2019/10/02:« الكاتب الجزائري محمد الأمين بن ربيع مدينتي بوسعادة أهمتني»، النشرة الثقافية عبر أثـــير الإذاعة الدولية، على الرابط: https://www.mc-doualiya.com/programs/: تاريخ الزيارة: 2023/03/12، على الساعة: 21:39.

[17] قدس الله سري ، ص 121.

[18] المرجع نفسه، ص 133.

[19] قدس الله سري، ص 157.